هوامش

لم تعد حرفة تزيين وتلوين الأثاث مرغوبة في تونس. إلا أن محمد العبداوي أحب هذه الحرفة الذي تعلمها من والده، وما زال يعمل فيها حتى اليوم، ليحيي بعضاً من التراث القديم والجميل

يختار الوانا زاهية (العربي الجديد)

محمد العبداوي

يحافظ على حرفة زخرفة الأثاث في تونس

تونس ـ **مريم الناصري**

بعض الألوان وفرشاة للتزيين والعديد من القطع الخشبية القديمة كانت كفيلة بتحويل ورشة صغيرة في منزل محمد العبداوي إلى متحف في المدينة العتيقة في القيروان (تبعد نحو 160 كيلومتراً عن تونس العاصمة). منذ كان في السادسة عشرة من عمره، أحبّ تزيين الأخشاب، وهي حرفة تعلّمها من والده. اعتادَ أن يرافق والده إلى ورشة النجارة الصغيرة التي يملكها، حيث يعمل في تزيين الأثاث بالألوان والزخارف ذات الطابع العربي والأندلسي. كما كان ينتقل إلى البيوت القديمة لتزيينها بالزخارف القديمة، والتي باتت تغيب عن البيوت الحديثة وأثاثها العصري. تعلّم العبداوي كيفيّة رسم الخطوط والأشكال والزخارف المختلفة وتنسيق الألوان.

خلال تزيين الأخشاب، لا يعتمد على ألوان أو أشكال بعينها. يقول إنّ كلّ قطعة لها زينتها وألوانها. وفي بعض الأحيان، يلون الأثاث بحسب طلب الزبائن. خصّص الطابق العلوي من البيت لعرض ما ينتجه، ما جعله أشبه بمعرض صغير. فيما حول الجزء السفلي إلى مكان أشبه بورشة لتزيين الأثاث، وقد اعتاد البحث عن التفاصيل الفريدة من نوعها في الأسواق. يختار العبداوي ألواناً زاهية ويحولها إلى لوحات فنية. يزخرف الأطباق المصنوعة من الخشب أو الطاولات الصغيرة والكراسي وغيرها من قطع الأثاث التي تستخدم في كلّ البيوت.

وكانت غالبية البيوت القديمة في تونس، سواء في المدينة أو القرى والأرياف، تزين فيها العديد من الجدران بالخشب الملون والرسومات، لا سيما في غرف النوم أو قاعات الجلوس. وتجد أحياناً كامل أسقف تلك الغرف مزينة بالخشب. لذالك، كانت حرفة تزيين الخشب منتشرة في معظم الجهات التونسية وتمثل مورد رزق هاماً يتوارثه الأبناء غالباً عن آبائهم. تشترك جميعها في الزينة نفسها والأشكال وطريقة الرسومات. لكنّ الحرفة باتت شبه مندثرة اليوم، إثر تغير طريقة البناء وتزيين الأثاث، بعدما طغى الأثاث العصري على غالبية البيوت التونسية.

وكثيراً ما يضطر بعض أصحاب المنازل القديمة المتوارثة عن الأجداد إلى ترميمها وترميم أثاثها مع الحفاظ على شكلها وألوانها بهدف الحفاظ عليها كما كانت. وغالباً ما يجد أصحاب تلك البيوت صعوبة في العثور على حرفي قادر على ترميم الأثاث مع الحفاظ على طابعه القديم. يقول العبداوي: «هذه الحرفة باتت نادرة جداً اليوم، إذ إن معظم العائلات اليوم تُفضّل الأثاث العصري. إلا أن بعض البيوت التونسية تُخصّص غرفاً للجلوس تعتمد على الزينة والأثاث القديم».

وكثيراً ما يُطلب منه تزيين العديد من قطع الأثاث القديمة أو حتى الجديدة بالطابع التقليدي المتوارث. يضيف أنّ بعض المقاهي في المدن العتيقة تهوى الأثاث القديم الذي يُزيّن بالطريقة الأندلسية والعربية. برسوم تقليدية وألوان زاهية لإضفاء طابع خاص على المقهى. وتنتشر تلك المقاهي في المدينة العتيقة في القيروان وسوسة والعاصمة وسيدي بوسعيد وبعض المناطق الأخرى. وغالباً ما يشترى أصحاب تلك المقاهي الأثاث القديم ويتم تزيينه بهذه الطريقة. لذلك، قد نجد بعض الأعمال التي من الممكن القيام بها».

يقول العبداوي إنّ «الوقت الذي تتطلبه كلّ رسمة يتعلق بحجم القطع الخشبية ونوع الرسمة والتفاصيل التي تحتويها. وغالبيتها تُرسم أولاً بقلم الرصاص قبل أن تلون». يضيف أنّه يستعمل مختلف ألوان طلاء الخشب لتلوينها، وهي ألوان تبقى لسنوات عدّة من دون أن يتغيّر شكلها أو رونقها.

من جهة أخرى، يوضح أنّ قطع الاثاث القديم أو ما يعرف بـ«الأنتيكا» المزخرف تُباع اليوم بأسعار باهظة كونها نادرة. سابقاً، كانت تلك الحرفة رائجة، خصوصاً أنّ غالبية الأثاث المستخدم، ولا سيما في سبعينيات القرن الماضي، يزين كما في الحقبتين الأندلسية والعثمانية. في تلك الفترة، كانت هذه المهنة تشغل العديد من الحرفيين في مختلف الجهات. لكن اليوم، قلة هم الأشخاص الذين يجيدون هذه الحرفة وفنّ الرسم على الخشب أو تزيين الأثاث القديم. وقلة هم الأشخاص الذين يقبلون على هذه الحرفة بسبب تغير طابع البيوت التونسية، بحسب ما يشرح.

ويُشير العبداوي إلى أنّه يعمل في تزيين بعض قطع الأثاث لبعض الحرفيين والزبائن وإثراء متحفه الصغير على الرغم من قلة الإقبال على مثل تلك المنتجات. إلّا أنّه مصرّ على مواصلة العمل في هذه الحرفة لأنه يعي تماماً أنّها قد تندثر نهائياً. ويتمنى تعليمها لعدد كبير ممن يرغب في تعلّم حرفة تزيين الأثاث القديم أو حتى الحديث لكن بطريقة تقليدية، «وخصوصاً أنّ البعض في تونس، بالإضافة إلى المقاهي والمحال التجارية يحافظ على هذا الطابع الفريد الذي يميز تونس عن بعض الدول، على الرغم من كون حرفة تزيين الأخشاب بالألوان ليست خاصة في تونس فقط. لكن، لكلّ بلد طابعه الخاص».

باختصار

كانت غالبية البيوت القديمة في تونس، سواء في المدينة أو القرى والأرياف، تزين فيها العديد من الجدران بالخشب الملون والرسومات.

■■■

بعض المقاهي في المدن العتيقة تهوى الأثاث القديم الذي يُزيّن بالطريقة الأندلسية والعربية.

■■■

تنتشر تلك المقاهي في المدينة العتيقة في القيروان وسوسة والعاصمة وسيدي بوسعيد وبعض المناطق الأخرى.

وأخيراً

أغاليط مشاهير سناب

سعدية مفرح

لم أستغرب أبدا حجم الخداع الجماعي الذي مارسه كثيرون ممن يسمّون مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، وكشفته أخيرا منصة سناب، عن غير قصد منها ربما، بعد تحديثها الجديد، والذي أضافت فيه خاصية جديدة إلى خدمتها، إظهار عدد متابعي هؤلاء المشاهير في صفحاتهم على المنصّة، وهي خاصية قابلة للإلغاء من المشهور نفسه إن أراد.

سارع كثيرون من هؤلاء فعلا إلى إلغاء تلك الخاصية، بهدف إخفاء الأعداد الحقيقية لمتابعيهم، خصوصا أنهم خدعوا هؤلاء المتابعين وغيرهم، بمضاعفة تلك الأعداد مرّات ومرّات على غير الحقيقة، ما ساهم في جذب المعلنين إلى حساباتهم، وبأرقام كبيرة جدا.

وعلى الرغم من كثرة منصات التواصل الاجتماعي، وتنوع ما تتميز به كل واحدة منها من خواص معينة، بقيت منصة سناب شات المفضلة لمشاهير «الغفلة» الذين استمرأوا استغفال متابعيهم، اعتمادا على ما توفره تلك المنصة من إمكانية التصوير المستمر للحياة، مع الاحتفاظ بخصوصية الحساب نفسه، فهي تكاد تكون المنصّة الوحيدة التي تخفي عن المتابعين تفاصيل الحساب المتابع، فلا أحد يعرف من يتابع من في هذه المنصّة، ولا كم عدد المتابعين مثلا، ما سهل على مشاهير كثيرين الكذب، فأعلنوا عن أرقام مليونية لمتابعيهم، قبل أن تتخلى تلك المنصة عن أهم ما يميزها لدى هؤلاء المشاهير في تحديثها أخيرا.

يشفّ الأمر، على بساطته البادية، عن حجم بحيرة الزيف التي وجدنا أنفسنا جميعا نسبح فيها، فمنا من غرق في أعماقها، ومنا من نجا، أو ما زال يحاول النجاة، ومغريات الغرق كبيرة جدا بالنسبة للمراهقين تحديدا، وهم الفئة المستهدفة من هؤلاء المشاهير الكذابين، والذين تعمّدوا إشاعة نوع من السلوك الغبي المعتمد على مزيد من الاستهلاك المادي، ولا شيء غيره!

سلوك استهلاكي بشع أصبح سمةً لمجتمعاتنا الراهنة، خصوصا أن هذه السمة ساهمت في الضغط على الأسر بما أثقل كاهلها، وبالتالي جعل كثيرين من أفرادها يعيشون في دوامةٍ من الضغوط النفسية والقلق الناتج عن الشعور بالدونية المجتمعية، وهم يرون أنفسهم أقل بكثير في مستوى المعيشة والحياة لدى الآخرين حولهم.

لقد روّج كثيرون من هؤلاء المشاهير نمطا معيشيا غير حقيقي أنه هو الحقيقي، وهو السائد، وهو الشكل المتوسط للحياة في الوقت الراهن. وهذا ترويج للزيف على حساب الحقيقي، فما فعلوه ويفعلونه، مقارنة بمخرجات الفن التمثيلي، على سبيل المثال والمقارنة، لا يمكن قبوله صورة للحقيقة، ففي حين تقدّم الأعمال السينمائية والتلفزيونية أمثلة واقعية، مهما بلغت مثاليتها المتطرّفة أحيانا، إلا أنها تبقى في الوعي الجمعي لدى الصغار والكبار مجرّد فنون، أو تمثيل، ونحن نستقبله ونتقبله على هذا الأساس، ووفقا لهذا المعيار من التقبل. أما ما يصوّره مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، ممن اشتهروا بلا شيء يذكر سوى تصوير ما يقولون إنه يومياتهم في الحياة، فهو مختلفٌ تماما، في مستوى وطريقة استقباله وتقبله، وخصوصا من المراهقين والشباب.

> مع كثرة منصات التواصل الاجتماعي، وتنوع ما تتميز به كل منها، بقيت «سناب شات» المفضلة لمشاهير «الغفلة»

هنا، أي في تلك المساحة المكانية والزمانية الشاسعة، والتي تقدّمها منصة سناب، في امتداد أفقي ورأسي غير مسبوق لهم، حياة، كما تبدو طبيعية جدا، لا مجال للتمثيل فيها. والخطورة الحقيقية تكمن في تلك الأغلوطة، فعلى الرغم من أن تلك الحياة المصوّرة والمشاعة علنا بدقائقها المغرية تبدو طبيعية وعفوية جدا، إلا أنها في الواقع مجموعة من الأغاليط التي يتعمّدها من يصوّرها، ليساهم في صناعة كذبة كبرى لحقيقة الحياة اليومية المعتادة، هدفا للمقبلين على تلك الحياة، ولأنهم لا يستطيعون تمثلها في واقعهم، ينفصلون عن هذا الواقع بأشكال مختلفة، أكثرها شيوعا الكآبة والغضب المكتوم والنقمة على ما توفره لهم أسرهم من رعاية والبحث عن وسائل، غالبا غير مشروعة، للوصول إلى الصورة المشتهاة كما تبدو في حسابات المشاهير.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**